بدائل

ما إن يشاهد الرجل الجبار مخارج حريق يتهدده ، حتى يسارع الى اتخاذ قرار بإزائها. اما الضعيف المتخاذل ، فامامه احد البدائل الذي لم يختره بنفسه.

البدائل أشبه بأغصان تتفرع من شجرة الحياة. كلما خبر المرء اعمالا وشاهد معالم واحس بشعور ، بات تقديره أدق لشؤون الحياة كفنون التدبير المنزلي وكيفية الوقوع في شباك الحب وكنه ابعاد الصداقة. وكلما واجهته الأقدار أجاد الخيار.

مرد مخاطر الخيارات ليس ندرتها بل وفرتها. اما غياب الخيارات فشأنه ان ينقي العقل على افضل وجه وانبل قصد. ان السيطرة على انفعالاتنا اساس للنجاح في التعامل مع اندادنا. ففي معزل عن ذهن صاف لا يتسع للمرء ان يتخذ قراراته الحازمة في إطار من العقلانية المصفاة.

لا يزعمن انسان فرد انه لم يحدث نفسه البتة بارتكاب ظلم او شر. ولكن، اذا سلمنا جدلا اننا على وشك الهبوط الى "جحيم" مقيم، ألا ترانا نتخذ أقصى درجات الحيطة والحذر؟ فحذار أيها السادة!

الارادة تصور فترو فقرار فتنفيذ. فعلام لا يني اولئك السادة يخبطون خبط عشواء فيتصرفون على غير بصيرة او تدبر؟ لئن بان القرار خيارا بين بدائل، فهو، في العمق، خيار وصياغة بدائل!

هل يعي اصحاب النفوذ ان الحل الرئيس، دفعا لهدم الهيكل او ما بقي منه، هو فسح المجال للمبدعين؟ لا يمكن النافذين ان يعبدوا المال ويزعموا انهم يعبدون الله– الخالق والمبدع الاول. سبيلان يتقدمان امامهم اذا ما هبت رياحهم: ان يكونوا شمعة تذوب لتنير طريق الآخرين ام مجرد مرآة تعكس صورتها .ليختاروا إذا!... بين الحقيقة السافرة والراحة المتخاذلة، الخيار واضح وجلي .الضرورة توفر علينا الحيرة والتردد. وعندما يفقد اهل النفوذ قدرتهم على الخيار، يفقدون إنسانيتهم ويتشيأون.

من لا حاجة بنا اليه، فليرحل في هدوء! لا ريب في ان عالمنا الصغير ، في اطار هذه القرية الكونية، لا يضج بحرية الاختيار، ولكن، حذار ان نعيش دوما عيشة نكره فيها على الاختيار. هل لدى اصحاب النفوذ خيار ان لا يختاروا ما يختارونه؟ هل يبقى خيارهم ثوبا يرمونه في ختام مسرحية ليسوا حتى أبطالها؟!

د.جهاد نعمان، تكساس

استاذ في المعهد العالي للدكتوراه

العنفوان ١ تموز ٢٠٢٣